



معرف الكائن الرقمي للمقال: (DOI)10.54239/2319-023-002-014

انتهاكات الاحتلال الفرنسي في حق التراث المسجدي الجزائري French Occupation Violations against Algerian Mosque Heritage

ط.د/ياسين يوسف*

المركز الجامعي مرسلني عبد الله - تيبازة- الجزائر

yousfi.yassin@cu-tipaza.dz

تاريخ القبول: 2024/11/09

تاريخ المراجعة: 2024/08/10

تاريخ الإرسال: 2024/07/26

الملخص:

ارتكب الاحتلال الفرنسي كل أنواع الموبقات والمحرمات منذ أن وطئت أقدامه أرض الجزائر، فلم يكتف هذا الأخير بارتكاب المجازر والمذابح الوحشية في حق المدنيين والعُزّل، بل طالت يده الموروث الثقافي والأثري الجزائري في سياسة إجرامية كان يرمي من وراءها الاحتلال إلى القضاء على كل مقومات الهوية الوطنية لهذا البلد وسلخ شعبه عن ثقافته وعقيدته الإسلامية، وهنا تبرز المساجد كأحد أهم ضحايا هذه السياسة الصليبية، فهدم الاستعمار المئات منها في شتى المناطق، وحوّل بعضها لكنائس ولثكنات عسكرية ومستشفيات، وجعل بعضها الآخر إصطبلات تعيش فيها دوابه ومخازن للحبوب والتبن، كما منح أراضي المساجد بعد أن قام بهدمها لمستوطنيه كي يُشيدوا فيها منازلهم ومساكنهم في خرق واضح لكل الأعراف والمواثيق الإنسانية والدولية، وشرعن لهذا كله العديد من القرارات والمراسيم التي أصدرها حكامه وضباطه كي يخلق الذرائع والحجج لسياسته هذه، وفي هذه الورقة البحثية سنتطرق لأبرز انتهاكات الاحتلال الفرنسي في حق التراث المسجدي الجزائري مع اعطاء أمثلة بالشرح والتحليل عن أهم هذه المساجد التي تعرضت للطمس والهدم والتحويل.

الكلمات المفتاحية: الاحتلال الفرنسي؛ التراث؛ المساجد؛ الجزائر؛ الهوية الوطنية؛ الانتهاكات؛ الهدم؛ التحويل.

**Abstract:**

The French occupation committed all kinds of atrocities and taboos since it set foot on the land of Algeria. Not only did the latter commit massacres and brutal massacres against civilians and the defenseless, but it also reached out to the Algerian cultural and archaeological heritage in a criminal policy behind which the occupation aimed to eliminate all components of this national identity. The country and its people were stripped of their Islamic culture and faith, and here mosques stand out as one of the most important victims of this heinous Crusader policy. Colonialism demolished hundreds of them in various regions, and converted some of them into churches, military barracks and hospitals, and made others into stables for animals to live in and warehouses for grain and hay. It also granted lands for mosques. After he demolished it for his settlers in order to build their homes and homes in clear violation of all humanitarian and international norms and conventions, and legitimized all of this by many decisions and decrees issued by his rulers and officers in order to create pretexts and justifications for this policy of his, and in this research paper we will discuss the most prominent violations of the brutal French occupation against heritage. The Algerian mosque, giving examples with explanation and analysis of the most important of these mosques that were subjected to obliteration, demolition, and conversion.

Keyword: The French occupation; heritage; mosques; Algeria; national identity; violations; demolition; conversion.

- مقدمة:

لطالما عبّرت المباني والمؤسسات الدينية عن هوية البلدان والشعوب وشخصيتها المعنوية، لهذا دائما ما تحرص الأمم على العناية بها والتفاني في المحافظة عليها، وفي العالم الإسلامي تعد المساجد القلب النابض لمجتمعاته، فهي ليست أمكنة للعبادة فقط بل هي أيضا أماكن للعلم وتعلم القرآن والفقه وشئ العلوم الأمر الذي جعلها عرضة للمخاطر من قبل أعداء الدين الذين احتلوا العديد من بلداننا الإسلامية، وهنا تبرز الجزائر كأحد أهم هذه الدول التي عانت من نير الاستعمار الفرنسي الصليبي و الذي



جعل على سلم أولوياته طمس الهوية الجزائرية الإسلامية، فوضع نُصب عينيه لتحقيق ذلك تدمير المساجد ونهبها، الأمر الذي جعلها عرضة لهجمة فرنسية شرسة تنوعت ما بين الهدم والطمس والتحويل والغلق وشملت مختلف مدن البلاد في خروقات واضحة لكل المواثيق الإنسانية والمعايير الأخلاقية.

وبغية الإلمام أكثر بهذا الموضوع طرحنا الإشكالية التالية: كيف كانت وضعية المساجد بالجزائر خلال فترة الاستعمار الفرنسي؟ وفيما تجلت انتهاكات هذا الاحتلال بحقها؟ وللإجابة عن هذه الإشكالية تمّ تقسيم ورقتنا البحثية لمبحثين قُسم كل واحد منهما لعدة مطالب، تناولت أولاً أهم القرارات التي أصدرتها السلطة الفرنسية القائمة بالاحتلال لشرعنة اعتداءاتها الوحشية اتجاه المساجد الجزائرية، بينما جاء المبحث الثاني مفصّلاً لهذه الاعتداءات والتي ركّزنا خلالها على ثلاثة أنواع من هذه الأخيرة، وهي الهدم وتحويل المساجد لكنائس، والتحويل لمستشفيات وتكنات عسكرية، وتمّ الاعتماد لإنجاز هذا البحث على المنهج التاريخي في ذكر تاريخ المساجد المدروسة والقرارات الصادرة من السلطات الفرنسية ضد هذه العمائر، إضافة للمنهج الوصفي الممزوج بالتحليل في وصف ما آلت إليه هذه المؤسسات الدينية وتحليل تبعات ذلك، وجاء الهدف من هذه الورقة البحثية هو إظهار الوجه القبيح للاحتلال الفرنسي من خلال سرد وقائع وأحداث تاريخية مؤلمة عن الجرائم الفادحة لهذا المحتل اتجاه المساجد، إضافة للتعريف بتاريخ البلاد للأجيال الصاعدة، ولقد تنوعت الدراسات السابقة المستعملة في هذا المقال ما بين كتب على غرار كتاب تاريخ الجزائر الثقافي في جزئه الخامس لمؤلفه أبو القاسم سعد الله والذي كان له الدور البالغ في إحصاء المساجد موضوع الدراسة، وكتاب ألبير ديفوكس المُنْعون بـ *les édifices religieux de l'ancien Alger* والذي كان من المصادر المهمة التي تناولت هذا الموضوع بإسهاب، إضافة للمقالات العديدة ذات الصلة الوطيدة بموضوع الدراسة مثل مقال بوزرينة سعيد وموشموش محمد الموسوم بـ *المساجد أثناء الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر بين الهدم والطمس والتحويل*، ومقال محمد زاهي الذي جاء تحت عنوان *وضعية المؤسسات الدينية خلال الفترة الاستعمارية 1830م-1870م مساجد وزوايا مدينة الجزائر أنموذجاً*، كما تمّ استعمال العديد من الرسائل الجامعية لعل من أبرزها رسالة



المجستير في الحضارة الإسلامية للطالب محمد حاج سعيد المعنونة بمساجد القصبة في العهد العثماني تاريخها، دورها، وعمارتها، وغيرها من الدراسات السابقة التي تمخض عنها في نهاية المطاف هذا المقال المتواضع.

كانت المؤسسات الدينية المختلفة بالجزائر قُبيل الاحتلال الفرنسي بمثابة الجامعات في وقتنا الحالي، فلم يقتصر التعليم بها على حفظ ودراسة وتلاوة القرآن الكريم فقط بل تعداه ليشمل مختلف العلوم العقلية والنقلية، كما ساعدت هذه المؤسسات منذ ظهورها على تثبيت ركائز الهوية الإسلامية للشعب الجزائري من خلال تربيتهما للنشء تربية دينية واجتماعية تتماشى وأحكام الدين الإسلامي (ريم، 2012: 151)، ولقد شهد العديد من الرحالة الأجانب الذين زاروا الجزائر قبل الاحتلال بأن التعليم كان منتشر بالبلاد وأن الغالبية الساحقة من الشعب الجزائري كان يعرف القراءة والكتابة وهذا يدل على مدى الدور التربوي والتعليمي الكبير الذي كانت تقوم هذه المؤسسات الدينية (سعد الله، 1982: 159، 160)، وقد تنوعت هذه المؤسسات ما بين مساجد وزوايا ومدارس علمية وكتاتيب ومعمرات والتي هي عبارة عن مؤسسات تعليمية انتشرت في الأرياف والقرى الجبلية وكان يقصدها الطلبة بغرض الانقطاع عن العالم الخارجي والانعزال لدراسة القرآن الكريم وأحكامه (بوعزيز، 2006: 97، 109)، وكانت مختلف هذه المؤسسات تتلقى الدعم والتمويل من العديد من المؤسسات الخيرية والوقفية والتي ساهمت بشكل فعال في تطوير الجانب التعليمي بالجزائر، ومن أهم هذه المؤسسات الخيرية والوقفية نجد أوقاف الحرمين الشريفين، وأوقاف مؤسسة سبل الخيرات، وأوقاف المسجد الأعظم، وأوقاف مؤسسة بيت المال، وأوقاف أهل الأندلس، وأوقاف الأشراف وأوقاف المرابطين والمعوزين من الجند، وأوقاف المرافق العامة وغيرها الكثير، ومع دخول الاحتلال الفرنسي للجزائر رأى هذا الأخير في هذه الأوقاف والمؤسسات الدينية والخيرية مشكلة عويصة تهدد مشاريعه ومخططاته فسارع الوهلة الأولى لإصدار قرارات ومراسيم تهدف إلى القضاء على هذه المؤسسات إما بمصادرتها أو نهبا أو هدمها أو طمسها أو تحويلها (مسدور، 2008: 181-186).

1-أهم القرارات الصادرة عن المحتل الفرنسي ضد المساجد والمؤسسات الدينية الأخرى بالجزائر:

شنَّ الاحتلال الفرنسي منذ ولوجه للجزائر حملة ممنهجة ضد المساجد والأوقاف وجميع المؤسسات الدينية الأخرى، ولشرعنة هذه الحملة أصدرت السلطة الفرنسية القائمة بالاحتلال العديد من القوانين والمراسيم والقرارات لإضفاء الشرعية عما سبق، ويمكن إيجاز هذه القرارات فيما يلي:

1-1- قرار 08 سبتمبر 1830م: بعد مرور حوالي شهرين من الاحتلال الفرنسي للجزائر قام الحاكم العسكري حينها الجنرال كلوزيل بإصدار قرار يوم 08 سبتمبر 1830م والذي تضمن سبع مواد فتحت الباب على مصرعيه لإلحاق جلِّ أملاك الأوقاف المحبسة على المؤسسات الدينية وضمِّها كممتلكات للدولة الفرنسية (زاهي، 2019: 360)، وجاءت مواد هذا القرار تصبُّ إجمالاً في سرقة الاحتلال للعقارات العمومية وموارد المؤسسات الدينية التي كانت تذهب جُلُّها لتسيير عمل المساجد والمحافظة عليها، كما تنص مواد على معاقبة كل من لم يُصرح بأملاكه بالغرامات المالية الثقيلة، كما يُشرع هذا القرار نهب مداخل المؤسسات الدينية وأوقافها ودفعها لخزينة الجيش الفرنسي (زاهي، الأوقاف في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية (1830-1870م)، 2014-2015: 204-205)، ولكي يتم تنفيذ بنود هذا القرار على وجه السرعة منحت سلطات الاحتلال مهلة ثلاثة أيام لكل شخص كي يثبت ملكيته للعقارات أو تتم مصادرتها مباشرة، على أن يكون الإثبات مرفقا بمعلومات مفصلة تخصُّ طبيعة الأملاك ووضعيتها وعددها و الدخل الناتج عنها، ووضع الجنرال كلوزيل العديد من الأفخاخ في القرار يكمن دورها في دقِّ إسفين بين أبناء المجتمع الجزائري، وذلك بوضعه لمادة تمنح مكافأة مالية لكل من يصرِّح بأملاك الأشخاص التي لم يتم كشفها ما قد يخلق الفتنة والتمزق داخل الشعب (سعدالله، الحركة الوطنية الجزائرية ج1 1830-1900، 1992: 74-75)، وقد احتجَّ الأهالي والشعب الجزائري برمته على هذا القرار التعسفي خاصة منهم رجال الدين أمثال ابن العنابي (1189-1267هـ/1775-1850م) والذي كان أحد فقهاء الحنفية ومن أشهر القضاة والباحثين بالجزائر حينها، فشكَّل هذا الأخير مع تسعة أشخاص آخرين لجنة تُعنى بأمور حماية الأوقاف ومواردها تحت مسمى اللجنة الخيرية للغوث، واستطاعت

هذه اللجنة في آخر المطاف من الحفاظ على أوقاف الحرمين الشريفين التي كانت تذهب مواردها لفقراء مكة والمدينة، وبالتالي لم يستطع المحتل الفرنسي تنفيذ جميع بنود قرار 08 سبتمبر 1830 م (عون، 2018-2019، صفحة 46).

1-2-قرار 07 ديسمبر 1830 م: يعتبر هذا القرار قرارا مُستمدا من قرار 08 سبتمبر 1830 م مع بعض التعديلات التي أدخلت عليه، ونصَّ هذا الأخير على مصادرة كل المؤسسات الدينية العامة منها والخاصة كالمساجد والأوقاف والزوايا والمدارس وغيرها وإلحاقها بالمصالح العقارية الفرنسية التي ستستفيد بموجب هذا القرار من جميع الموارد التي تنبثق عن هذه الأوقاف والمؤسسات الدينية (وضاح، 2021: 174)، تضمن القرار هذا ثماني مواد منها أربعة مواد أساسية تتعلق بمصادرة أوقاف المؤسسات الدينية، وهي المادة الأولى التي تنصَّ على أن كل المنازل والمتاجر والدكاكين والبساتين والأراضي والمحلات الوقفية أو أية مؤسسة أخرى لها مداخل موجهة لمكة والمدينة والمساجد ستكون تحت سيطرة إدارة أملاك الدولة الفرنسية (زاهي، الأوقاف في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية (1830-1870 م)، 2014-2015: 206)، والمادة الأخرى ذات الصلة بموضوع الدراسة هي المادة الرابعة التي تُمهّل القضاة والعلماء ورجال الدين ثلاثة أيام لوضع عقود الملكية وجميع الوثائق والسجلات المتعلقة بتسيير المساجد والمؤسسات الدينية الأخرى تحت تصرف أملاك الدولة الفرنسية، إضافة لتسليم قائمة بجميع المحلات والدكاكين التي تعود أموال إيجارها للأوقاف لصالح الدومين مع الكشف عن مبالغ الكراء السنوي لهذه المتاجر (سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي ج 5-1830-1954، 1998: 161)، ثم تأتي المادة الخامسة التي تطالب مسيري المساجد والمؤسسات الدينية الأخرى بالإعلان عن جميع النفقات الواردة من الأوقاف إلى صيانة المساجد وتسيير شؤونها، أما المادة السابعة من هذا القرار فإنه تمنح بموجبها سلطات الاحتلال مكافآت مالية لكل من يكشف عن الأملاك الوقفية الغير مصرح بها (زاهي، الأوقاف في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية (1830-1870 م)، 2014-2015: 207)، وكان المحتل الفرنسي يرمي من وراء هذا القرار إلى إضعاف المؤسسة المسجدية وطمسها قدر المستطاع لإدراكه التام بخطورتها على بقائه في الجزائر، ولكن ورغم كل وحشية الاحتلال وتغطرسه في انتهاك أعراض وحرمان المؤسسات الدينية الإسلامية من خلال هذا القرار

إلا أنه لم يستطع تطبيقه بالكامل، إذ اصطدم باحتجاجات الناس بمختلف شرائحهم الاجتماعية ومستوياتهم الثقافية والمعرفية والذين هبوا دفاعا عن مقدساتهم، حينها رفع الاستعمار يده على كل المساجد وما يتعلق بها، بينما نفذ قراره فيما يتعلق بالأوقاف مثل أوقاف مكة والمدينة وأوقاف سبل الخيرات وأوقاف الاندلس وأوقاف بيت المال (سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج5 1830-1954، 1998: 163-164).

3-1- قرار 23 مارس 1843م: أصدر هذا القرار من قبل وزير حربية الاحتلال الفرنسي الدوق دالماتي والذي تمّ بموجبه ربط جميع مداخيل ومصاريف المؤسسات الدينية بالميزانية الفرنسية (شبيرة، 2014: 222)، واشتمل القرار على ثماني مواد تضمنت ستة منها على طرق وكيفية مصادرة أموال دور العبادة الإسلامية والأوقاف، تنصّ المادة الأولى منه على أنّ كل المداخيل الناتجة عن المؤسسات الدينية والوقفية ستتحول مباشرة لحسابات الميزانية الفرنسية، أما المادتان الثانية والثالثة فإنهما أكدتا على أحقية إدارة أملاك الدولة الفرنسية لجميع الأوقاف التي تمول المؤسسات الدينية المختلفة، وفيما يخص المادتان الرابعة والخامسة فإنهما شرعنتا للاحتلال وضع يديه على المساجد والمؤسسات الوقفية التي لازالت تؤدي وظيفتها كأماكن للعبادة وإلحاق مداخيلها بالميزانية الفرنسية، أما المادة السادسة فأرجعت صلب المعاشات لموظفي قطاع الأوقاف الذين يتولون صيانة وتسيير المساجد والزوايا، إضافة للمساعدات المقدمة لعلماء الدين والشرفاء لصالح إدارة أملاك الدولة الفرنسية، وهكذا استطاعت سلطات الاحتلال السيطرة على جميع أموال الأوقاف وضمها للميزانية الاستعمارية، ويعتبر هذا القرار تكريس جديد للاحتلال على أرض الجزائر وزيادة ملحوظة في حجم الاعتداءات على المساجد ومختلف دور العبادة والتعليم الإسلامية (زاهي، الأوقاف في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية (1830-1870م)، 2014-2015: 209-210).

4-1- قانون 04 جوان 1843م: أصدر الجنرال بوجو في 04 جوان 1843م قرارا ينصّ على سيطرة مصلحة أملاك الدولة الفرنسية على أوقاف مؤسسة الجامع الأعظم التي كانت تتولى تسيير شؤون المساجد المالكية (زاهي، وضعية المؤسسات الدينية خلال الفترة الاستعمارية 1830-1870 مساجد وزوايا مدينة الجزائر أنموذجا، 2019: 360)، وهي مؤسسة تأسست منذ القرن 11هـ/17م مع تأسيس الزاوية والمدرسة التابعة للجامع

الكبير بمدينة الجزائر، وجاء قرار 04 جوان متضمنا لخمس مواد تُشرع الاعتداء على أوقاف المؤسسة سابقة الذكر، وقد ركزت المواد الثلاثة الأولى من هذا القرار على كيفية السيطرة على هذه الأوقاف، فمادته الأولى تنصُّ على أنَّ كل العقارات التابعة للمسجد الكبير مهما كانت طبيعتها أو صفتها ستكون تحت تصرف وحكم مصلحة أملاك الدولة الفرنسية ابتداءً من إعلان هذا القرار، أما المادة الثانية فقد ألحقت بموجها جميع مداخل ومصاريف أوقاف المسجد الأعظم بميزانية الاستعمار، وفيما يخصُّ المادة الثالثة فهي مشابهة للمادة السادسة من قرار 23 مارس 1843م، فبموجب هذه المادة أصبحت رواتب ومعاشات موظفي أوقاف المسجد الأعظم تُصبُّ من طرف الدومين الكولونيالي الفرنسي وهو من يتولى هذه العملية (سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي ج5 1830-1954، 1998: 168).

يعتبر قانون 04 جوان 1843م شرعنة لعمليات السرقة والنهب التي انتهجتها سلطات الاحتلال الفرنسي ضد الإسلام ومؤسساته وأوقافه، وهو يعد مرآة عاكسة للغاية وراء الاحتلال الفرنسي للجزائر الذي كان هدفه الأول والأهم هو تنصير البلاد وسلخها عن عقيدتها الإسلامية السمحاء.

1-5- قرار 03 أكتوبر 1848م: هذا القرار أصدره الحاكم العام للجزائر حينها شارون والذي ينصُّ على ضم جميع الأوقاف التابعة للمؤسسات الدينية كالمساجد والزوايا لأُملاك الدولة الفرنسية (بوحلوفة، 2019: 82)، وتضمن القرار هذا ثلاثة مواد، نصَّت المادة الأولى منه على ضمِّ جميع أوقاف المساجد والأضرحة والزوايا وكل ما له علاقة بالمؤسسات الدينية لمصلحة أملاك الدولة الفرنسية، أما المادة الثانية فقد فصلت في كيفية تطبيق المادة الأولى، إذ جاء فيها بأنَّه سيتم تطبيق وتنفيذ كل المصادرات الواردة في المادة السابقة في مدة عشرة أيام من تاريخ تحويلها لصالح الدومين مع إرغام أصحاب الأوقاف والممتلكات على تقديم جميع السجلات والوثائق والعقود إضافة لقوائم المستأجرين وقيمة المبالغ المخصصة للإيجار والمتعلقة بهذه المؤسسات الدينية، وفيما يخصُّ المادة الثالثة من القرار فالزمت بموجها كل مالك لوقف أو عقار بتقديم عقود الملكية أو الكراء لمصلحة أملاك الدولة الفرنسية المتواجدة بمنطقة سكناه، ومن هنا فإنَّ قرار 03 أكتوبر 1848م كان بمثابة القشَّة التي قصمت ظهر البعير، فقد قضى هذا



القرار على مصادر تمويل المساجد والمؤسسات الدينية الأخرى من خلال تجفيفه لمداخل الأوقاف بصورة كبيرة، إذ تحولت جلّ العقارات والممتلكات الوقفية التي كانت تساهم في الحفاظ على المساجد وتسيير شؤونها وحمايتها وتسديد أجور موظفيها للملكية الاحتلال الفرنسي (زاهي، الأوقاف في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية (1830-1870م)، 2014-2015: 214)، وبإصداره لكل ما سبق من القوانين والقرارات حان الوقت بعدها للمحتل لتنفيذ مخططاته بشكل فعلي، وتطبيق كلّ ما كان يُحاك من قبله من وراء الكواليس لتدمير مؤسسة المسجد ككيان ديني وعلمي بالجزائر وذلك كي يتسنى له تثبيت أقدامه بالبلاد، لأن الاحتلال الفرنسي كان على دراية تامة لا لبس فيها بأن المساجد هي أخطر مكان يهزّ عرش حكمه و يُعزز روح المقاومة والكفاح والصمود للشعب الجزائري.

2- الانتهاكات الفرنسية في حق التراث المسجدي الجزائري:

يعتبر العامل الديني أهم عامل وراء احتلال فرنسا للجزائر، إذ تعدّ ذريعة إنقاذ المسيحية والمسيحيين من براثن الجزائريين المسلمين من أبرز الأسباب التي دعت الدولة الصليبية لغزو الجزائر، ويظهر هذا الغلّ الديني جلياً في تصريحات العديد من المسؤولين الفرنسيين حينها مثل وزير الحربية كليمون تونير الذي عبّر في أكثر من مناسبة عن آماله في تنصير الجزائر قائلاً في إحداها "يمكن لنا في المستقبل أن نكون سعداء ونحن نُمِدّن الأهالي ونجعلهم مسيحيين"، أما الملك الفرنسي شارل العاشر فقال "إنّ مرادنا أن تُنظّموا الصلوات في جميع الكنائس داعين الله أن يحمي الراية ويعطينا النصر" (بقطاش، 1977: 17-18)، وتعتبر المساجد أهم ضحايا الانتهاكات الفرنسية في حق الهوية والتراث الجزائريين، حيث سعت سلطات الاحتلال جاهدة إلى ضربها وسحقها كونها تمثل ركيزة المجتمع الجزائري ومراته العاكسة لعقيدته وقيمه الإسلامية، فتنوعت هذه الانتهاكات ضد المساجد ما بين هدمها وغلقها وطمسها وتغيير وظائفها، إضافة لتخريبها وسرقة أغراضها ونهبها ومراقبة ومطاردة أئمتها والساهرين على حمايتها ومنع الناس من تلقي شئ العلوم فيها، في مخالفة واضحة للاتفاقية المبرمة ما بين الداي حسين حاكم الجزائر غداة الاحتلال (1234-1245هـ/ 818-1830م) ودي بورمون قائد الحملة العسكرية الفرنسية على الجزائر سنة 1245هـ/ 1830م والتي تنصّ على تعهد فرنسا باحترام المعتقدات الدينية للجزائريين والحفاظ على كل أشكال الحريات، لكن



فرنسا الاستعمارية خرقت جلّ ذلك (وضاح، 2021: 172) فبدأت منذ الوهلة الأولى في عمليات تدمير المساجد، فعلى حسب إحصاء سنة 1316هـ/1899م فقد بلغ عدد مساجد مدينة الجزائر لوحدها 176 مسجدا لم يترك منها الاحتلال سوى خمسة لتقوم بوظيفتها وهي الجامع الكبير، والجامع الجديد، وجامع سيدي رمضان، وجامع صفر، وجامع عبدي باشا (سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية ج 1 1830-1900، 1992: 82)، وحولت بعض المساجد في قسنطينة لكنائس مثل مسجد سوق الغزل، وهدمت البعض الآخر كمسجد البيازري ومسجد الجوار وجامع خليل وغيرها الكثير (سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج 5 1830-1954، 1998: 82، 85)، وبمنطقة تيبازة حوّل المحتل مسجدي مائة عرصة بشرشال ومسجد سيدي علي بن مبارك بالقلعة لمستشفيات عسكرية ومدنية (تسكورث، 2014-2015م: 115، 151)، كما تم تحويل العديد من المساجد لمخازن للتبن واصطبلات للخنازير وأمكنة لعزف الكمان وشيّ الآلات الموسيقية (دودو، 1975: 20)، ويمكن إيجاز السياسات الفرنسية اتجاه المساجد الجزائرية في المطالب التالية:

2-1- سياسة هدم المساجد:

هدمت سلطات الاحتلال الفرنسي العديد من المساجد في مختلف الولايات، وتمركزت أغلب عمليات الهدم بمدينة الجزائر وذلك لكثرة مساجدها وسكانها، البعض من هذه المساجد لم يتبقى منه أي أثر، بينما البعض الآخر تبقت منه بعض العناصر المعمارية أو الكتابات الأثرية والمتواجدة حاليا في عدة متاحف بالعاصمة الجزائرية خاصة، ومن أشهر هذه المساجد:

✓ جامع السيدة: كان يقع جامع السيدة في أعالي مدينة الجزائر فوق تل شديد الانحدار بالقرب من دار الإمارة بالمدينة ما جعل منه مقصدا للسلطين العثمانيين يترددون عليه باستمرار، كما جعل منه تجار المدينة وأعيانها مكانا للاجتماع والنظر في جميع الاتفاقيات والقضايا التجارية المختلفة (بورابة، 2016: 516-518)، بُني المسجد على يد محمد باشا أحد دايات الجزائر (1179-1205هـ/1766-1791م)، وسُمي بمسجد السيدة نسبة لبنت مولاي الناصري ملك بجاية (المدني، 1974: 23، 31، 51)، وهو الناصر بن علناس الخليفة الحمادي ومؤسس مدينة بجاية سنة 460هـ/1067م (بوروية، 1977:



(58)، ويعتبر مسجد السيدة أول مسجد تقوم سلطات الاحتلال الفرنسي بهدمه في الجزائر وكان ذلك سنة 1247هـ/ 1832م بأمر من الجنرال كلوزيل (وضاح، 2021: 173)، ولعب العنصر اليهودي الدور البارز في التحريض على هدم المسجد، حيث أوهم اليهود كلوزيل بأن كنوز الداوي العثماني تتواجد داخل هذا الصرح الديني، وما كان من الجنرال الفرنسي إلا أن صدّقهم، فقام بسرقة كل اغراض المسجد الثمينة ومن ثمّ هدمه وحوّله لساحة داخل المدينة تُعرف اليوم بساحة الشهداء (زاهي، وضعية المؤسسات الدينية خلال الفترة الاستعمارية 1830-1870 مساجد وزوايا مدينة الجزائر أنموذجا، 2019: 361)، ومن بين أثاث المسجد التي سرقها المحتل من مسجد السيدة كانت كل أبوابه الرخامية وسراياته، إضافة للأفرشة والقناديل والثريات التي أخذها المستوطنون لمنازلهم (التميمي، 1972: 148، 149)، ولم يتبقى من المسجد سوى منبره الرخامي المتواجد حاليا بالجامع الجديد بمدينة الجزائر، وهو عبارة عن منبر مصنوع من الرخام الأبيض الناصع ومزدان بزخارف وتشكيلات فنية متنوعة، كما لازالت أعمدة المسجد الرخامية متواجدة لحد اليوم، فبعدما هدم الاحتلال الجامع قام بنقل أعمدته المصنوعة من الرخام والمقدر عددها بستة وثلاثين تختلف من حيث الأحجام ما بين الكبيرة والصغيرة لجامع المرابطين بالعاصمة أو كما يسمى بالجامع الكبير أين وُضعت على واجهته الرئيسية (بورابة، 2016: 529-534)، ولقد جعلت العمارة الفاخرة لمسجد السيدة وموقعه الاستراتيجي وسط المدينة إضافة لدوره كمنارة إسلامية للعلم والتعلم من هذا الأخير خطرا محدقا بالتواجد الفرنسي بالجزائر لما قد تلعبه هذه المؤسسة الدينية من أدوار في زرع روح النضال في نفوس الشعب الجزائري، ما اضطر الاحتلال الفرنسي لإزالة هذا الخطر وذلك بهدمه للمسجد بشكل كامل.

✓ جامع خير الدين: كان يقع جامع خير الدين بالقرب من مدخل قصر الجنيينة بقصبة مدينة الجزائر، كما كان يشكّل جزءا من واجهة قصر الباشوات القديم، بُني على يد خير الدين بربروس في أوائل شهر جمادى الأولى من عام 926هـ الموافق لـ 28 أفريل 1520م، هدمته السلطات الفرنسية في بدايات احتلالها للجزائر ولم تترك منه سوى لوحته التأسيسية المحفوظة حاليا بالمتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية بالعاصمة الجزائرية، وهي اللوحة التي من خلالها عرفنا تاريخ تشييد المسجد ومؤسسه،



وبعد هدمه بنى الاحتلال في مكانه العديد من المنازل الخاصة بالمستوطنين الذين جاؤوا من كافة أنحاء أوروبا (موشموش، 2021: 123، 124).

✓ جامع خضر باشا: تعود تسمية هذا الجامع لخضر باشا أحد دايات الجزائر وحاكمها لثلاث مرات (997-1000 هـ / 1589-1592 م)، (1003-1004 هـ / 1595-1596 م)، (1011-1013 هـ / 1603-1605 م)، كان من أشد الداعمين للجهاد البحري ضد سفن الصليبيين في البحر الأبيض المتوسط (شوقي، 2022: 276، 273، 272)، شيد خضر باشا المسجد هذا بشارع باب عزون بمدينة الجزائر وذلك في سنة 1005 هـ / 1596 م على أنقاض مسجد مدمر، كان الجامع مخصصا لكل الصلوات المفروضة إضافة لخطب الجمعة و العيدين وكذا تدريس علوم الفقه والدين، وقد خصصت له العديد من الأوقاف والتي بلغ عددها حسب الوثائق الأرشيفية 139 وقفا متنوعا كانت كل مداخيلها تصب في ميزانية المسجد وذلك من أجل تسييره وصيانته والعناية به وتسديد معاشات موظفيه وغيرها، وكان لجامع خضر باشا معاناة قاسية مع الاحتلال الذي قام في بادئ الأمر بتعطيله عن وظيفته الدينية وإحاقه بمستشفى الخراطين المقيم داخل ثكنة عسكرية، وبعدها في سنة 1252 هـ / 1836 م قام بهدم جزء منه، أما الجزء الثاني المتبقي فقسّمه لشطرين، الشطر الأول أضافه لمنازل المستوطنين، أما الشطر الثاني فضّمه لمعبد يهودي، لتكون سنة 1255 هـ / 1839 م الحلقة الأخيرة من هذه المعاناة، إذ قامت سلطات الاحتلال بهدم جامع خضر باشا بشكل كامل دون أن تترك منه أي أثر (سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج5 1830-1954، 1998: 42، 43).

✓ مسجد حمام يطو: كان يقع مسجد حمام يطو بالقرب من مسجد علي بتشين المشهور والقائم لحد اليوم بقصبة مدينة الجزائر، سمي هذا المسجد نسبة لحمام يطو الذي كان متواجدا على مقربة منه، تميز هذا المعلم الديني بصغر حجمه، إذ يمكن تصنيفه ضمن مساجد الأحياء البسيطة، ورغم ذلك خصصت له أوقاف عديدة تموّله للعناية به وتسيير شؤونه، وتمثلت هذه الأوقاف في منزل واحد وفرن وخمسة محلات تجارية، وجعل للمسجد مُسَيّر كان آخرهم إبراهيم بن حميدة الذي عُيّن في هذا المنصب سنة 1248 هـ / 1833 م، واحتفظ مسجد حمام يطو بوظيفته الدينية لغاية سنة

1256هـ/ 1840م أين أقدمت سلطات الاحتلال على هدمه بذريعة المنفعة العامة (Devoulx, 1870: 56).

✓ مسجد ساباط الحوت: سُمي المسجد بهذه التسمية نسبة لوقوعه على مقربة من سوق بائعي الحوت، وفي الوثائق التاريخية ذُكر هذا المعلم الديني بعدة تسميات لعلّ من أبرزها مسجد البطيحة وهو تصغير لكلمة بطحاء، كما سُمي أيضا بمسجد أبركان، كان لمسجد ساباط الحوت واقع مريب مع المحتل الفرنسي، إذ تعرض لمختلف أشكال الانتهاكات، فمع بدايات الاحتلال حوّل المسجد لمخزن للحبوب وبقي على تلك الحالة لمدة ثماني سنوات أي لغاية سنة 1254هـ/ 1838م، وخلال هذه المدة أصبح المسجد مهترئا وهشّا وآيلا للسقوط في أي لحظة، وأكثر شيء ساهم في خراب الجامع وتحكم الاحتلال فيه أكثر هو هجرة كل السكان المسلمين الذين كانوا يسكنون بجواره ورحيلهم ومجيء مئات المستوطنين مكانهم ما جعل هؤلاء يأخذون راحتهم في تدنيسه والعريضة به، وفي سنة 1270هـ/ 1854م انهار مسجد ساباط الحوت كُلّيّا حينها استولى على أرضيته الاحتلال وأرجعه كما كان من قبل مخزن للحبوب، وفي بعض المصادر التاريخية جاء بأنّ هذا المسجد انتقل من وظيفة مخزن حبوب إلى ثكنة عسكرية إلى غاية سنة 1270هـ/ 1854م أين كانت النهاية المأساوية للصرح الديني (سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي ج5 1830-1954، 1998: 2425).

✓ جامع القشّاش: بُني هذا الجامع سنة 977هـ/ 1570م، كانت له شهرة كبيرة خلال العهد العثماني، فهو كان جزء من مركّب ديني يضم الزاوية والمدرسة أين كانت تُقدّم هناك مختلف الدروس الفقهية والدينية، أصبح جامع القشّاش مقصدا لمئات الطلبة ورجال العلم من مختلف المناطق، وخُصّصت لأجله عشرات الأوقاف التي تمويل نشاطاته وتُسِير شؤونه (سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي ج5 1830-1954، 1998: 26، 27)، استولى عليه المحتل الفرنسي سنة 1246هـ/ 1831م أين استعمله كمرقد لجنوده، ثمّ حوّلَه فيما بعد لمستشفى مدني يتداوى فيه مستوطنوه، وبعد سنوات رُمّمته السلطات الاستعمارية وأرجعته مخزنا لأغراض المستشفيات (موشموش، 2021: 129)، ولكن لم يدم الأمر طويلا بعدها لتقوم السلطة القائمة بالاحتلال بتهديمه بشكل كلي وتُشيد



مكانه مدرسة للفنون الجميلة ولم يبق له من ذلك الوقت أي أثر (سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج 5 1830-1954، 1998:27).

✓ جامع رحبة الصوف: بُني جامع رحبة الصوف في عهد رجب باي حاكم مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني لحوالي ثماني سنوات (1077-1084هـ/1666-1674م)، تميز هذا الباي بحسن السيرة والمهارة العالية في القيادة والتحكم في الأوضاع، وكان هذا الجامع من بين المنشآت المعمارية التي شُيّدت في عهده (حدود، 2009-2010: 98، 205)، وخُصص لجامع رحبة الصوف إبان حكم آل عثمان العديد من الأوقاف التي ساهمت في تمويل شتى أعمال الصيانة والتسيير الخاصة بالمسجد، ومع دخول الاحتلال الفرنسي لمدينة قسنطينة سنة 1253هـ/1837م تعرض هذا الجامع أسوة بمائة جامع آخر بالمدينة لمختلف أشكال الانتهاكات والممارسات الشنيعة، إذ عطلت السلطة القائمة بالاحتلال حينها الوظيفة الدينية والتعبدية للمسجد وحولته لمخزن للشعير، وبعدها بحوالي عشر سنوات ونيف أي في سنة 1264هـ/1848م جُعل من الجامع ملجأ لإيواء الأهالي الذين أصابهم المجاعة جرّاء سياسات المستعمر المتمثلة خاصة في تجويع الشعب الجزائري لإبعاده عن المقاومة والكفاح، وكتب حينها الاحتلال على باب الجامع "الجمهورية الفرنسية، الأم الرؤوم للفقراء والأيتام" في سياسة كان يرمي من وراءها هذا الأخير تلميع صورته المملوكة بدماء الأبرياء والعزّل، وفي سنة 1268هـ/1852م أسقط المحتل منارة المسجد، ليقوم بهدمه فيما بعد وإقامة مستشفى مدني مكانه دون أن يترك له أي أثر (سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج 5 1830-1954، 1998: 81).

✓ جامع الجوزة: ويسمى أيضا جامع سيدي أحمد بن زروق نسبة لأبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي (846-899هـ/1441-1493م)، أصله من مدينة فاس وقد عاش في زمن ضعف دولة بني مرين، كان رجل علم وحكمة وكرامات متعددة (مراري، 2014-2015: 13، 19، 20، 21)، عُرف عنه زيارته الكثيرة لمدينة قسنطينة قادما إليها من بلاد المغرب الأقصى، فبُني جامع في المدينة أخذ اسمه، ولا يوجد أي معلومات عن سنة تشييد هذا الجامع بالضبط ولا عن من شيّده، والمعروف عن جامع الجوزة هو أنه كانت له نهاية مأساوية مع سلطات الاحتلال الفرنسي، إذ قامت

يهدمه بشكل كلي ولم تترك منه أي أثر يُذكر (سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج 5 1830-1954، 1998: 85).

✓ جامع سيدي علي بن مخلوف: سُي الجامع نسبة لأحد الأولياء الصالحين بالمنطقة يُدعى علي بن مخلوف والذي توفي سنة 586هـ/1190م، تعرض المسجد لانتهاكات شتى من قبل السلطة الفرنسية القائمة بالاحتلال، إذ حوّلت قاعة صلاته لإسطبل لفرقة عسكرية تُسمى بفرقة الصبابحية النظامية (سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج 5 1830-1954، 1998: 86)، لتقوم بعد ذلك هذه السلطة بهدم الجامع بصفة كلية، وحسب الوثائق التاريخية فإنّ عملية الهدم كانت قبل سنة 1284هـ/1867م (يوناني، 2015م: 124).

2-2 تحويل المساجد لكنائس:

لقد كان القضاء على الدين الإسلامي بالجزائر أهم ما استهدفه وخطّط له المحتل الفرنسي منذ ولوجه للبلاد، فشهدت عمليات التنصير نشاطا مكثّفا في كامل أرجاء الجزائر تحت حماية ودعم من قبل السلطة القائمة بالاحتلال التي جنّدت كل القساوسة ورجال الدين المسيحيين للمُضي قدما في هدم الهوية الجزائرية الإسلامية، وكان من أبرز هؤلاء الرجال أنطوان دوبوش الذي كان أوّل أسقف فرنسي بالجزائر وذلك سنة 1254هـ/1838م، إضافة لدوفوكو ولافيجري ولويس بافيه (مسعودي، 2017: 16)، وتعد عملية تحويل المساجد لكنائس ولدور عبادة مسيحية أهم ما عمل عليه هؤلاء القساوسة لتنصير الجزائر، ومن بين أبرز هذه المساجد:

✓ جامع علي بتشين: يقع مسجد علي بتشين في قصبة مدينة الجزائر وبالضبط في الزاوية المشتركة بين شارعي باب الواد وسيدي إدريس حميدوش، بُني سنة 1032هـ/1622م من قبل علي بتشين أو كما يُطلق عليه في بعض المصادر التاريخية علي بنجين، وهو رجل مسيحي من إيطاليا اعتنق الإسلام، تميّز بثرائه وبكونه من أغنياء مدينة الجزائر إبّان الفترة العثمانية (سعيد، 2014-2015: 61)، بنى علي بتشين هذا الجامع من أمواله الخاصة، وقد خُصّص لهذا الأخير العديد من الأوقاف لتسيير شؤونه ودفع معاشات القائمين عليه، وكانت هذه الأوقاف عبارة عن أرض وثلاثة منازل وسبعة عشر دُكان وطاحونة وفندق (Devoulx, 187: 60)، ومع الاحتلال الفرنسي للجزائر تعرض



الجامع لعمليات التخريب والنهب والطمس المختلفة، إذ حوّلت السلطة القائمة بالاحتلال في بادئ الأمر لصيدلية مركزية تابعة للجيش وكان ذلك سنة 1245هـ/1830م، وبقي على تلك الحال إلى غاية 15 صفر 1258هـ/28 مارس 1842م أين حوّله المستعمر لكاتدرائية لتعبد المستوطنين النصارى أطلق عليها تسمية كاتدرائية سيدة الانتصارات (موشموش، 2021: 132)، وكانت من بين الذرائع التي ساقها المحتل لتبرير تحويله جامع علي بتشين لكنيسة هو أنّ من شيدّ الجامع أي علي بتشين كانا مرتدّا عن المسيحية، لهذا وجب تغيير وظيفة المسجد لديانة مؤسسه الأصلي، فقاموا بترميمه وصيانته، ونقلوا إليه باب جامع كتشاوة المزخرف لتزيينه، كما أنّهم هدموا جزء من مأذنته سنة 1276هـ/1860م في إطار سلخ الجامع عن هويته الدينية، ولم يُعد جامع علي بتشين لوظيفته الإسلامية لغاية زوال الاحتلال عام 1382هـ/1962م (سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي ج5 1830-1954، 1998: 19).

✓ جامع البراني: سُمي هذا الجامع بالجامع البراني لوقوعه خارج حصن القصبة بمدينة الجزائر، وهو مصطلح أطلقه عليه المحتل الفرنسي للتفريق بينه وبين الجامع الواقع داخل القصبة، وكان جامع البراني خلال العهد العثماني مقصدا للنّاس الغرباء عن المدينة وذلك لكي يتفادوا كل المشاكل الأمنية التي كانت سائدة في بعض أزقة القصبة الداخلية وكان أغلبهم من الجيجليين والأغواطيين والبسكرة والقبائل والميزابيين (بوزرينة، 2013: 20)، وقد اختلفت وتضاربت الأقوال عن تاريخ تشييد هذا الجامع، فمنهم من يقول أنّه بُني سنة 1064هـ/1653-1654م أمثال ديفوكس (Devoulx, 1870: 234)، بينما يُرجّح البعض بأنّ الداوي حسين آخر دايات الجزائر هو من بناه مُستدلين في ذلك بلوحتان تأسيسيتان كُتب عليهما بأنّ حسين داي شيدّ الجامع سنة 1233هـ/1817-1818م، ولكن الرأي الأرجح هو أنّ تاريخ البناء هو 1064هـ/1653-1654م وتمّ تجديده أي الجامع- في عهد حسين داي (سعيد، 2014-2015: 78، 79)، وكغيره من التراث المسجدي الجزائري فقد تعرّض الجامع البراني لانتهاكات جسيمة من قبل السلطة الفرنسية القائمة بالاحتلال، إذ قامت هذه الأخيرة باحتلاله سنة 1245هـ/1830م وجعلت منه مرقداً للجنود، وفي 18 محرم 1255هـ/03 أفريل 1839م سلّمت السلطة المحتلة لأملاك الدولة والتي منحت بدورها في نفس اليوم لإدارة الشؤون الداخلية المدنية



الفرنسية (بوزرينة، 2013: 21) التي قامت بتحويله لكنيسة مسيحية تمّ تسميتها بالصليب المقدس وكان ذلك ابتداءً من يوم 18 صفر 1255هـ/03 ماي 1839م (موشموش، 2021: 138)، ومن أجل توسيع هذه الكنيسة المُستحدثة قام الاحتلال بضمّ المحكمة التي كانت بجوار الجامع البراني للكنيسة (سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي ج5 1830-1954، 1998: 60).

✓ جامع كتشاوة: يتواجد جامع كتشاوة في القصبة السفلى لمدينة الجزائر وبالضبط في شارع الديوان المسمى حالياً ساحة ابن باديس، كان موقع الجامع الحالي إبان فترة الاحتلال الروماني عبارة عن أحواض لجمع المياه الصالحة للشرب والمتدفقة من القصبة العليا، شُيّد الجامع خلال العهد العثماني دون وجود تاريخ محدد لزمن التشييد، ولكن إجماع المؤرخين يقول أنّه بُني خلال القرن 11هـ/17م، وتعود أقدم الوثائق التاريخية التي ذكرته إلى سنة 1021هـ/1612-1613م خلال فترة حكم كوسا الثالث الممتدة لسنتين (1019-1021هـ/1611-1613م)، أما عن سبب تسمية الجامع بكتشاوة فهناك قولان، بالنسبة للقول الأول فإنّ تفسير كلمة كتشاوة في القاموس التركي الفرنسي تعني الفراش الذي يُوضع فوق ظهر الجمل، أما القول الثاني وهو الأرجح فيرجع سبب التسمية لكون الأتراك لما دخلوا لمدينة الجزائر زمن خير الدين بربروس وجدوا مكان المسجد الحالي مهجوراً ولم تكن به سوى بعض الحشائش التي تقتات منها الماعز، فأطلق التُرك على المكان تسمية كجي أوى ketchi oua أي سهل الماعز، وقد تمّ تجديد الجامع من قبل حسن باشا سنة 1209هـ/1794-1795م والذي جعل حينها مخطط هذا المسجد مشابهاً لنمط تخطيط وبناء مسجد السيدة (بوزرينة، جامع كتشاوة... تاريخ وتراث، 2013: 170)، وقد كان لجامع كتشاوة مكانة مرموقة خلال العهد العثماني، إذ كان مقصداً لأهل العلم والدين والفقهاء الذين أتوا إليه من كل حذب وصوب، وقد أفضى صاحب الترجمانة الكبرى أبو القاسم الزباني في وصفه ومدح عمارته وجماله فقال فيه على سبيل المثال "...ومعبداً لأهل الخير والدين والعلماء الأعلام، وأنفق عليه من الأموال ما لا تسمح نفسٌ بإنفاقه...وجُمع له أنواع المرمر والرخام من بلاد الترك والأروام...وجُعِل لهذا المسجد منبرٌ من الرخام الشفاف...وكسّا جدرانَه بالزليج والفرفري والصيني، وفوقه الجبص الفائق المعدني..." (الزباني، 1991: 376، 377، 378)، ومن هنا

تظهر فخامة جامع كتشاوة الذي تميز بجمالية كل عناصره المعمارية من محراب وقبة وزخارف وأعمدة وأبواب، إذ كان يُذهل كل من يزوره (رابية، 2022: 893-895).

لجامع كتشاوة تاريخ مثير ومؤلم مع الاحتلال الفرنسي الاستيطاني، ففي 25 رجب 1248هـ/ 18 ديسمبر 1832م أصدر الجنرال دورفيكو قراره المشؤوم بتحويل هذا الجامع لكنيسة أطلق عليها تسمية سيدة الجزائر، وبعدها بستة أيام أي في 01 شعبان 1248هـ/ 24 ديسمبر 1832م وهو اليوم المصادف لمولد المسيح دُشِّن كتشاوة رسمياً ككنيسة يتعبد فيها النصاري، وقدّمت سلطات الاحتلال أفخر وأجود أنواع الأقمشة والستائر لتزيين هذه الكاتدرائية المزعومة (وضاح، 2021: 172، 173)، ومع فتح أبوابه لاستقبال أتباع الدين الدخيل على الجزائر هرع المستوطنون المسيحيون لهذه الكنيسة، وحولوا منبر الجامع لقداس وضعوا فيه تمثال السيدة مريم، ولم تكتفي السلطة الفرنسية القائمة بالاحتلال بكل هذه المجزرة العمرانية بل زادت في غيها، فقامت بإعادة بناء واجهة الجامع لتتماشى أكثر مع الفن البيزنطي والروماني، ولم يتبقى من العناصر الأصلية للمسجد سوى بيت الوضوء والمنبر وبعض الأعمدة الرخامية، وبقي كتشاوة على حالته ككنيسة إلى غاية الاستقلال سنة 1382هـ/ 1962م أين أُعيدت له وظيفته الدينية الإسلامية بعد طول عناء (سعيد، 2014-2015: 71، 72، 73).

✓ جامع سوق الغزل: يقع جامع سوق الغزل أو كما يسمى بجامع حسين باي في مدينة قسنطينة، شُيّد من طرف حاكم قسنطينة خلال العهد العثماني الباي حسين بوكمية الذي حَكَمَ لمدة حوالي ثمان سنوات (1125-1149هـ/ 1713-1736م)، وتميّزت فترة حكمه بالهدوء والاستقرار في البايلك القسنطيني وبالعلاقة بين الناس، كما كان له دور بالغ في بسط نفوذ الإيالة الجزائرية على تونس سنة 1148هـ/ 1735م، أمّا بالنسبة لسنة تشييد هذا الجامع فكانت في 1143هـ/ 1730م وذلك ما تُظهره لوحة الجامع التأسيسية المتواجدة حالياً بقصر أحمد باي بقسنطينة، وسُمي الجامع بسوق الغزل لوقوعه بجوار سوق بيع الصوف (دحدوح، 2009-2010: 274، 275، 276)، وتميّز هذا الجامع بفخامة العمارة، فزُيّنت جدرانه بزخارف الأرابسك، وصُنِع منبره بدقة وباحترافية، وتجمعت فيه كل مميزات العمارة الإسلامية الجمالية منها والفنية (بله، 2007-2008: 78).

لم يسلم جامع سوق الغزل من غطرسية الاحتلال الفرنسي، ففي 17 ذو الحجة 1254هـ/03 مارس 1839م قديم القسيس سوشيه لعين المكان وأعلن الافتتاح الرسمي لكنيسة خاصة بالمسيحيين بدل الجامع برخصة من الحاكم العام الماريشال فاليه (سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي ج5 1830-1954، 1998: 82، 83)، لتطمس بذلك معالمه الإسلامية ويُضاف هذا الجامع لقائمة طويلة من المساجد التي حُولت دون وجه حق لكنائس وكاتدرائيات.

2-3- تحويل المساجد لمستشفيات وثكنات:

حوّل الاحتلال الفرنسي مئات المساجد عبر كامل التراب الجزائري إمّا لمستشفيات يتداوى فيها مستوطنوه أو ثكنات عسكرية يُعربد فيها جنوده وعسكريه، ومن بين هذه المساجد:

✓ جامع مائة عرصة: يقع جامع مائة عرصة بقصبة مدينة شرشال المسماة عين القصيبة، وعين القصيبة هو الحي الذي بناه الأندلسيون لما هاجروا من شبه الجزيرة الإيبيرية إلى بلاد المغرب جرّاء الاضطهاد والتقتيل الإسباني لهم، فكانت فمدينة شرشال من أهم المدن التي استقروا فيها، ومن بين معالمهم الهامة بالمدينة مسجد مائة عرصة والذي سُمي بهذا الاسم لأنّ قاعة صلاته تقوم على مائة عمود، شَيّد الجامع من قبل سي عياد الأندلسي أحد قضاة غرناطة المشهورين (Seddiki, 2013: 24) وكان ذلك سنة 981هـ/1573-1574م، وكان الجامع منارة علمية، فإضافة لكونه مكان للصلاة فإنه أيضا كان فضاء لتعلم مختلف الدروس الدينية كأحكام التجويد والفقه وحفظ القرآن وغيرها (رمادلية، 2015: 70)، ومثّل جامع مائة عرصة المركز الديني لمدينة شرشال وقلبيها النابض إبّان فترة حكم آل عثمان، فبعيدا عن وظيفته الدينية فقد كان أيضا مكان التقاء كبار رجال المدينة وأعيانها للتباحث في شؤون الناس وأحوالهم وحلّ مشاكلهم، وبقي الجامع على هذه الحال إلى غاية خضوع مدينة شرشال للاحتلال الفرنسي سنة 1256هـ/1840م، إذ حوّل هذا الأخير لمستشفى عسكري لتداوي جنوده ومرتقته، وبقي على تلك الحال مدة من الزمن قبل أن يُحوّله مرة ثانية لمستشفى مدني ودائر للعجزة، وتسبب هذا التحويل في تشويه العديد من معالمه الأصلية وعناصره المعمارية، وظلّ الجامع على حالته كمستشفى حتى بعد الاستقلال تحت تسمية مستشفى سي مالك



البركاني، وفي محرم 1406هـ/ أكتوبر 1985م تسلمت الجامع الجمعية الدينية أين قامت بإعادة تأهيله وترميمه وإرجاعه لوظيفته الأساسية كمكان خالص للعبادة (بوطبة، 2007-2008: 57، 58، 59).

✓ مسجد سيدي علي بن مبارك: يقع مسجد سيدي علي بن مبارك في جنوب شرق مدينة القليعة التابعة إداريا لولاية تيبازة، بُني بعد وفاة علي بن مبارك أحد الصالحين المشهورين بالمنطقة والذي وافته المنية عام 1040هـ/ 1630م (دحماني، 2012-2013: 38-40)، وكان علي بن مبارك رجلاً حكيماً ومباركاً تميز بالعديد من الصفات النبيلة كما تقول عنه المصادر التاريخية، وبعد وفاته بنى له سكان مدينة القليعة مسجداً سُمي باسمه (Barbier, 1855: 133)، تعرض المسجد لتدمير كبير جرّاء الزلزال الذي ضرب القليعة سنة 1217هـ/ 1802م فقام حينها الداوي مصطفى باشا حاكم الجزائر لحوالي ثماني سنوات (1212-1220هـ/ 1798-1805م) بإعادة تجديده وكان ذلك سنة 1218هـ/ 1803م (جلال، 2011-2012: 84)، وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر تعرض هذا المسجد كغيره من المساجد الكثيرة للمضايقات والانتهاكات المستمرة من قبل السلطة القائمة بالاحتلال، فقامت بالاستيلاء عليه سنة 1314هـ/ 1897م وتحويله لمستشفى عسكري يتداوى فيه الجنود، فطمست عنه وظيفته الدينية وتضررت به العديد من عناصره المعمارية الأصيلة، ولكن عائلة بن مبارك قاومت هذا النهب بشتّى الوسائل المتاحة لديها، فراسل محمد لكحل أحد أحفاد علي بن مبارك السلطات الفرنسية في العاصمة باريس يوم 01 رجب 1315هـ/ 26 نوفمبر 1897م مُطالباً إيّاها بكف أذاها عن الجامع وإرجاعه لسكان المدينة ولوظيفته الإسلامية، إلا أنّ المحتل ضرب بذلك عرض الحائط وبقي طامساً لمعالم المسجد لغاية اندحاره من الجزائر سنة 1382هـ/ 1962م (بورابة، مسجد سيدي علي مبارك بمدينة القليعة (دراسة تاريخية وأثرية)، 2013: 219).

✓ جامع الداوي: يقع جامع الداوي بقصبة مدينة الجزائر، وسُمي بجامع الداوي نسبة لمؤسسه حسين خوجة بن علي المشهور باسم الداوي حسين آخر دايات الجزائر، ويُطلق على الجامع أيضاً تسمية الجامع الداخلي وذلك لوقوعه داخل القصبة من جهة، وللتفريق بينه وبين الجامع البراني من جهة أخرى، بُني الجامع سنة 1234هـ/ 1819م



وذلك ما توضحه لوحتا المسجد التأسيسيتان المتواجدتان به (سعيد، 2014-2015: 87-89)، كان جامع الداوي خلال العهد العثماني جامع خطبة للإنكشارية المكلفين بحراسة القلعة، كما اكتسى هذا الصرح الديني أهمية بالغة إبان تلك الحقبة نظراً لقربه من مقر إقامة الباشوات، وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر وضع العدو يده على الجامع وجعل منه ثكنة عسكرية ووضعه داخله مدفعية، وبعد مدة من الزمن حوَّله المحتل لمقر للجنود، فامتأ المكان بالأفرشة والأفرشة، وأصبح الجنود يعبثون بمقتنيات الجامع وأغراضه أيما عبث، ولم يعد يؤدي وظيفته الدينية إلا ما بعد الاستقلال. (سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج5 1830-1954، 1998: 60)

✓ مسجد سيدي الهواري: يقع مسجد سيدي الهواري بمنطقة وهران القديمة، شُيِّد خلال الفترة العثمانية ولم يُعثر على التاريخ الدقيق لسنة بنائه، سُمي نسبة للشيخ محمد بن أعمار عثمان أحد الأولياء الصالحين بالمنطقة والمولود سنة 751هـ/1350م بمستغانم، وتوفي في 842هـ/1439م بمدينة وهران، كان يتميز جامع سيدي الهواري بالبساطة المعمارية والزخرفية ورغم ذلك لم يسلم من براثن الاحتلال الفرنسي، فمع دخول هذا الأخير مباشرة لمدينة وهران قام بالاستيلاء على المسجد وتحويله لإدارة تتبع السلطة العسكرية ومخزناً للعتاد الحربي، وبقي سكان وهران محرومون من مسجدهم طوال فترة الاستعمار، إلا أنهم لم يستسلموا بكل تلك البساطة، فقد كان الوهرانيون يحتشدون في كل صلاة داخل ضريح سيدي الهواري المجاور للجامع ويؤدون صلاتهم هناك في إشارة منهم على تمسكهم بمسجدهم، ولكن مع الأسف لم يرجع مسجد سيدي الهواري لحالته الأصلية ولا لوظيفته الدينية إلى غاية الاستقلال، حينها وبمجهودات جبارة من الأهالي والسكان بالمنطقة تمت إعادة تأهيل المسجد وترميمه والصلاة فيه من جديد (مهيريس، 2009: 44، 45، 46).

- خاتمة:

من خلال ما تمَّ التطرق إليه يمكن الاستنتاج بأنَّ الشعب الجزائري كأفراد وأشخاص لم يكن وحده ضحية الاحتلال الفرنسي، فالمساجد كانت في نفس الدرجة مع أبناء الشعب في المظلومية والانتهاكات، إذ هدمت السلطة الفرنسية القائمة بالاحتلال مئات المساجد عبر مختلف ربوع الوطن، وحوَّلت بعضها لكنائس ومستشفيات وكنائس



عسكرية و حتى أماكن لتربية الخنازير، وهذا كله يعتبر جزءاً لا يتجزأ من مخطط المحتل الرامي لتنصير الشعب الجزائري وطمس هويته وعقيدته وقيمه الإسلامية وإبعاده عن كل ما يُمثِّل للإسلام بصلة، وقد سنَّ الاحتلال قبل ارتكابه هذه الجرائم العمرانية العديد من القوانين والقرارات التي جعل منها حُجة قانونية لُيعرِّد كيفما يشاء، لهذا لا بد من تدريس الأجيال الصاعدة معاناة التراث المسجدي بالجزائر إبان الاستعمار الفرنسي وذلك من خلال زيادة تأليف الكتب عن هذه الجرائم ونشر المقالات عنها وعقد الملتقيات والمؤتمرات للتعريف بها أكثر، إضافة لزيادة الترويج الإعلامي لذلك عن طريق تكثيف البرامج التلفزيونية التاريخية كي يكون الجيل القادم بشكل خاص وأساسي على اطلاع تام بتاريخ بلاده، كما يجب على السلطات المعنية الحفاظ على ما تبقى من تراثنا الديني المسجدي من خلال ترميمه والاعتناء به وتعزيز صموده وبقاؤه.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- بقطاش خديجة، (1977). الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871. د.ط. الجزائر: منشورات دحلب.
- 2- بلال ريم. (جوان، 2012). «الدور التربوي للمؤسسات الدينية قبل وبعد الاستعمار الفرنسي (المساجد والكنائس)». الناصرية للدراسات التاريخية والاجتماعية، جامعة معسكر، المجلد 02 (العدد 01)، ص.ص. 151-174.
- 3- بن عون محمد الحاكم، (2018-2019). المسألة الدينية في الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي (1830-1954م). أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ المعاصر، جامعة باتنة 01، الجزائر.
- 4- بورابة لطيفة، (2013). «مسجد سيدي علي مبارك بمدينة القليعة (دراسة تاريخية وأثرية)». دفاثر البحوث العلمية، المركز الجامعي مرسلني عبد الله / تيبازة، المجلد 01 (العدد 02)، ص.ص. 214-233.
- 5- بورابة لطيفة، (2016). «جامع السيدة المندثر في مدينة الجزائر العثمانية (دراسة تاريخية و أثرية)». مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية/قسنطينة، المجلد 30 (العدد 03)، ص.ص. 515-543.
- 6- بوزرينة سعيد، موشموش محمد. (جوان، 2021). «المساجد أثناء الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر بين الهدم والطمس والتحويل». مجلة الإنسان والمجال، المركز الجامعي نور البشير/البيض. المجلد 07 (العدد 01)، ص.ص. 118-141.



- 7- بوزرينة سعيد. (2013). «المساجد المؤرخة بالكتابات التأسيسية بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني». مجلة منبر التراث الأثري، جامعة أبو بكر بلقايد/تلمسان، (العدد02)، ص.ص. 9-30.
- 8- بوزرينة سعيد. (2013). «جامع كتشاوة...تاريخ وتراث». مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مركز الحكمة للبحوث والدراسات، المجلد01 (العدد01)، ص.ص. 169-183.
- 9- بوطبة محفوظ، (2007-2008). دراسة أثرية لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة شرشال. رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار -جامعة الجزائر02- الجزائر.
- 10- بوعزيز يحي. (أكتوبر، 2006). «المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين». مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، المجلد 08(العدد02)، ص.ص. 97-122.
- 11- بونابي الطاهر. (أوت، 2015م). «ملامح النشاط العلمي والروحي والثقافي بقسنطينة أواخر العهد العثماني». عصور الجديدة، جامعة أحمد بن بلة/وهران01، المجلد05 (العدد18)، ص.ص. 117-128.
- 12- تسكورث يمينة، (2014-2015م). الآثار الاسلامية المادية واللامادية لمنطقة تيبازة -الفترة العثمانية- *دراسة أثرية اجتماعية*. رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر02، الجزائر.
- 13- التميمي عبد الجليل، (1972). بحوث ووثائق في التاريخ المغربي 1816-1871. ط1. تونس: الدار التونسية للنشر.
- 14- جلال جميلة. (2011-2012). الأعمال المعمارية للداي مصطفى باشا في مدينة الجزائر وضواحيها من خلال وثائق الأرشيف والمعالم القائمة (1212-1220هـ/1798-1805م) -دراسة أثرية معمارية وفنية- رسالة ماجستير في الآثار العثمانية. معهد الآثار /جامعة الجزائر 02، الجزائر.
- 15- حاج سعيد محمد، (2014-2015). مساجد القصبة في العهد العثماني تاريخها، دورها، عمارتها. رسالة ماجستير في الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الاسلامية /جامعة الجزائر01، الجزائر.
- 16- دحدوح عبد القادر، (2009-2010). مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني دراسة عمرانية أثرية. أطروحة دكتوراه علوم في الآثار الإسلامية، معهد الآثار / جامعة الجزائر02، الجزائر.



- 17- دحماني جمعية، (2012-2013). مسجد سيدي علي بن مبارك. رسالة ماجستير في الآثار العثمانية، معهد الآثار / جامعة الجزائر 02، الجزائر.
- 18- دودو أبو العيد، (1975). الجزائر في مؤلفات الرحّالين الألمان (1830-1855). د.ط. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- 19- رابية آمال. (أفريل، 2022). «جماليات التراث المعماري العثماني بالجزائر مسجد كتشاوة انموذجا». مجلة العمارة والفنون والعلوم الانسانية، الجمعية العربية للحضارة والفنون الإسلامية، (العدد 04)، ص.ص. 889-904.
- 20- رمادلية آمال. (جوان، 2015). «العمارة الدينية في مدينة شرشال خلال الفترة العثمانية المسجد الكبير نموذجا (دراسة أثرية)». مجلة متيجة للدراسات الانسانية، جامعة البليدة 02، المجلد 02 (العدد 03)، ص.ص. 68-85.
- 21- زاهي محمد. (جانفي، 2019). «وضعية المؤسسات الدينية خلال الفترة الاستعمارية 1830-1870 مساجد وزوايا مدينة الجزائر أنموذجا». العبر للدراسات التاريخية والأثرية، جامعة ابن خلدون/تيارت، المجلد 02 (العدد 01)، ص.ص. 359-372.
- 22- زاهي محمد، (2014-2015). الأوقاف في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية (1830-1870م). أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي ليابس/سيدي بلعباس، الجزائر.
- 23- الزيّاني أبو القاسم، (1991). الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور براً وبحراً. د.ط. الرباط: دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع.
- 24- سعد الله أبو القاسم. (1982). محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث -بداية الاحتلال-. ط3. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- 25- سعدالله أبو القاسم. (1998). تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954. ج5. ط1. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- 26- سعدالله أبو القاسم، (1992). الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900. ج1. ط1. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- 27- شبيرة سفيان ، بوحلوفة محمد الأمين. (ديسمبر، 2019). «انتهاكات الاستعمار الفرنسي للمؤسسات الوقفية في الجزائر -قراءة تاريخية-». الأكاديمية للبحوث في العلوم الاجتماعية، المركز الجامعي إيليزي، المجلد 01 (العدد 01)، ص.ص. 74-88.



- 28- شبيبة سفيان. (جوان، 2014). «دوافع وتبعات مصادرة الإدارة الاستعمارية الفرنسية للأموال الوقفية في الجزائر». مجلة علوم الإنسان والمجتمع، جامعة محمد خيضر/بسكرة، (العدد 10)، ص.ص. 213-232.
- 29- شوقي عبد الكريم. (سبتمبر، 2022). «تطور الوضع السياسي والعسكري في الجزائر في عهد الباشوات (1587-1659م)». الحوار المتوسطي، جامعة جيلالي ليابس/سيدي بلعباس، المجلد 13 (العدد 02)، ص.ص. 266-295.
- 30- المدني أحمد توفيق، (1974). مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهّار نقيب أشرف الجزائر. د.ط. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- 31- مراري عبد القادر، (2014-2015). الفكر العقدي للشيخ أحمد زروق البرنسي (1493هـ/1993م). رسالة ماجستير في العقيدة الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية/جامعة الجزائر 01، الجزائر.
- 32- مسدور فارس. (سبتمبر، 2008). «الأوقاف الجزائرية بين الاندثار والاستثمار». مجلة علوم الاقتصاد والتسيير والتجارة، جامعة المسيلة، المجلد 12 (العدد 03)، ص.ص. 175-214.
- 33- مسعودي مجيد. (مارس، 2017). «سياسة فرنسا الممنهجة في القضاء على مقومات الهوية الوطنية في الجزائر». بحوث ودراسات، جامعة حمه لخضر/الوادي المجلد 02 (العدد 05)، ص.ص. 9-24.
- 34- معيطه ورود، وضاح نوفل. (2021). «سياسة فرنسا الاستعمارية في الجزائر (1830-1894م)» الجانب الديني أنموذجا". الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر/باتنة 01، المجلد 43 (العدد 05)، ص.ص. 169-180.
- 35- مهيّريس مبروك، (2009). المساجد العثمانية بوهّران ومعسكر. د.ط. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- 36- Barbier Jean. (1855). ITINERAIRE historique et descriptif de l'Algerie. paris
- 37- Devoulx Albert. (1870). les édifices religieux de l'ancien Alger. Alger: topographie bastide.
- 38- Seddiki Hocine, Benhassir smail, Seddiki djamila . (2013). TIPASA LA WILAYA. 2ème édition, ALGER: al.bayazin.